

الفرج بعد الشدة

[69] الباب الرابع من استعطف غضب السلطان بصادق لفظ، واستوفى مكروها بموقظ بيان أو وعظ قرئ على أبى بكر الصولى بالبصرة وأنا أسمع في كتابه: " كتاب الوزراء ". وجدت بخط ابراهيم بن جاهين، حدثنى على بن محمد النوفلي: أن المأمون ذكر عمرو بن مسعدة واستبطأه في أشياء، وكان ذلك بحضرة أحمد بن أبى خالد فأخبر به عمرو أحمد، فدخل عمرو إلى المأمون فرمى بنفسه وقال: أنا عائد بـ من سخطك يا أمير المؤمنين، أنا أقل من أن يشكوني أمير المؤمنين إلى أحد، ويسر على ضغنا يظهر منه لمكانة ما ظهر. فقال له المأمون وما ذاك؟ فأخبره بما بلغه. فقال لم يكن كذلك، وإنما جرى معنى أوجب ذكر ما ذكرت فقدمته قبل أن أخبرك به وكان ذلك عزمي، ومالك عندي إلا ما تحب فليفرج روعك، وليحسن طنك وسكن ما به حتى شكره وجعل ماء الحياة يدور في وجهه. فلما دخل أحمد بن أبى خالد قال له: اشكو إليك من بحضرتي من أهلى وخدمي فما للمجلس حرمة حتى تؤدى ما يجرى فيه إلى عمرو بن مسعدة فقد أبلغ لى شيئاً قلته فيه فاتهمت به بعض بنى هاشم ممن كان حاضراً، وذلك أن عمراً دخل على فأعاد ما كان واعتذر، فجعلت أعتذر إليه بعذر لم بين الحق نسجه، ولم يتسق القول فيه، وإن لسان الباطل ينبئ عن الظاهر بالباطن. فقال له أحمد: لا يتهم أمير المؤمنين أحداً أنا أخبرت عمراً. قال: ما دعاك إلى ذلك؟ قال الشكر وا لا صطناعك. والنصح بك والمحبة لاتمام نعمتك على أوليائك وخدمك، وقد علمت أن أمير المؤمنين يحب إصلاح الأعداء والبعداء، فكيف بالاولياء والقرباء، لاسيما مثل عمرو في موضعه من الدولة، وموقفه من الخدمة، ومكانه من أمير المؤمنين فأخبرته بما أنكره عليه ليقوم أود يقينه، ويتلافى ما فرط منه. وإنما العيب لو أزعجت سرا فيه قدح على السلطان أو نقص تدبير له. فقال له